

البداية والنهاية

أمسكه بعد ثلاثة أيام وبعثه إلى قلعة صفد واحتاط على حواصله ورسم على أستاذ داره بدر الدين بكداش وجرى ما لا يليق وقوعه هنالك إذ الوقت وقت عسر وضيق وحصار وصمم السلطان على الحصار فرتب الكوسات ثلاثة حمل ثم زحف يوم الجمعة سابع عشر جمادي الاولى ودقت الكوسات جملة واحدة عند طلوع الشمس وطلع المسلمين على الأسوار مع طلوع الشمس ونصبت السناجق الإسلامية فوق أسوار البلد فولت الفرج عند ذلك الأدبار وركبوا هاربين في مراكب التجار وقتل منهم عدد لا يعلم إلا الله تعالى وغنموا من الامتعة والرقيق والبضائع شيئاً كثيراً جداً وأمر السلطان بهدمها وتخريبها بحيث لا ينتفع بها بعد ذلك فيسر الله فتحها نهار الجمعة كما أخذتها الفرنج من المسلمين في يوم الجمعة وسلمت صور وصياداً قيادتهما إلى الأشرف فاستوثق الساحل للمسلمين وتنظف من الكافرين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

وجاءت البطاقة إلى دمشق بذلك ففرح المسلمين ودقت البشار فيسائر الحصون وزينت البلاد لينتزه فيها الناظرون ولمنتزهون وأرسل السلطان إلى صور أميراً فهم أسوراً وعفا آثارها وقد كان لها في أيدي الفرنج من سنة ثمان عشرة وخمسين شهراً وأما عكا فقد كان الملك الناصر يوسف بن أيوب أخذها من أيدي الفرنج ثم إن الفرنج جاؤ فأحاطوا بها بجيوش كثيرة ثم جاء صلاح الدين ليما نعهم عنها مدة سبعة وثلاثين شهراً ثم آخر ذلك استملقوها وقتلوا من كان فيها من المسلمين كما تقدم ذلك .

ثم إن السلطان الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون سار من عكا قاصداً دمشق في أبهة الملك وحرمة وافرة وفي صحبته وزيره ابن السلووس والجيوش المنصورة وفي هذا اليوم استناب بالشام الأمير علم الدين سنجر الشجاعي وسكن بدار السعادة وزيد في إقطاعه حرستا ولم تقطع لغيره وإنما كانت لمصالح حواصل القلعة وجعل له في كل يوم ثلاثة على دار الطعام وفوض إليه أن يطلق من الخزانة ما يريد من غير مشاورة ولا مراجعة وأرسله السلطان إلى صيدا لأنه كان قد بقي بها برج عصى ففتحه ودقت البشار بسببه ثم عاد سريعاً إلى السلطان فودعه وسار السلطان نحو الديار المصرية في أواخر رجب وبعثه إلى بيروت ليفتحها فسار إليها ففتحها في أقرب وقت وسلمت عثلية وانطربوس وجبيل ولم يبق بالسواحل وهو الحمد معقل للفرنج إلا بأيدي المسلمين وأراح الله منهم البلاد والعباد ودخل السلطان إلى القاهرة في تاسع شعبان في أبهة عظيمة جداً وكان يوماً مشهوداً وأفرج عن بدر الدين بيبرس بعد سجن سبع سنين ورجع علم الدين سنجر الشجاعي نائباً لدمشق إلى دمشق في سابع عشرين الشهر المذكور وقد نظف

السواحل من الفرج بالكلية ولم يبق لهم بها حجر وفي رابع رمضان أفرج عن حسام الدين
لاجين من قلعة صفد و معه جماعة